

الفصل الرابع

أين كان المسلمون يتعلمون

obeykandi.com

التعليم فى البيوت :

فى بدء الاسلام كان التعليم الدينى فى الدور والبيوت فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم مكانا يتقابل فيه مع أصحابه وتابعيه من المسلمين ليعلمهم قواعد الدين الاسلامى ويقرئهم ما نزل من القرآن الكريم .

وبالإضافة الى دار الأرقم كان الرسول يجلس فى بيته بمكة ويجمع المسلمون حوله ليعلمهم ويزكيهم .

ولما كانت البيوت قد أعدت للهدوء والراحة وقد يتضايق من فيها اذا قصدها كل يوم أحد المعلمين لتعليم بعض الابناء بدعوة من الآباء ، رأى المسلمون ان البيوت لاتصلح لتكوين حلقة فيها يقصدها طلاب العلم للتعلم بها وتلقى الدروس فيها . فوجود الطلبة يؤدى الى الحركة والضوضاء وازعاج من فى البيوت واغلاق راحتهم . وهذا هو المراد من قوله تعالى : **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِينَ إِنَاءٍ »** (١) ولكن اذا دعيتهم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم . والله لايسحى من الحق (٢) .

فالبيت موضع احترام وهدوء واستقرار لا بد فيه من الاستئذان . ولدخوله آداب اسلامية يجب التفكير فيها ، والعمل بها . فالبيوت لاتصلح لان تكون أمكنة للتعليم العام . ولكن عند الضرورة يجعل من البيت مكانا للتعليم الخاص .

لهذا كان التعليم فى المساجد والجوامع والمعاهد ودور الحكمة ودور العلم ودور الكتب والمنتديات والكتاتيب والمدارس .

وحينما جاء الاسلام كان عدد من يعرف القراءة والكتابة من اهل قريش سبعة عشر رجلا ولكن الدين الاسلامى شجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة واجادتهما لمبدأت القراءة والكتابة تنتشران فى جزيرة

(١) غير منتظرين نضجه .

(٢) سورة الاحزاب آية ٥٣ .

العرب ، كى يستطيع رواة الحديث الشريف أن يضبطوا ما يكتبون من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بكل دقة .

وكان المسلمون اذا ارادوا تعليم ابنائهم أرسلوهم الى الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة ، أو الى المساجد ليحضرها ما بها من حلقات علمية ودينية أو الى بيوت العلماء لتلقى العلم عنهم أو الى المكتبات والخوانيت التى تباع فيها الكتب للبحث والقراءة والاطلاع والاتصال بمن فيها من العلماء والادباء أو الى المنتديات الادبية وقصور الخلفاء والاغنياء لاستماع ما يلقي فيها من المحاضرات والمناظرات والقصائد الشعرية ، أو الى البادية للأخذ عن الشعراء والكتاب ماجادت به قرائحهم من الشعر والنثر . وسنتكلم عن كل منها فيما يأتى :

التعليم فى الكتاتيب :

كانت الكتاتيب قبل الاسلام لتعليم القراءة والكتابة وبعد الاسلام زيد عليهما تحفيظ الاطفال القرآن الكريم وتعليمهم الدين الاسلامى والخط والحساب ومبادئ اللغة . . فالكتاب أو المكتب هو المعهد الاوى الذى يتعلم فيه المبتدئون القرآن الكريم والقراءة والكتابة ومبادئ الدين واللغة والحساب والخط .

وكانت العناية بتعليم الخط كبيرة لانه فن من الفنون الجميلة ، وكان له معلم يختص بتعليمه ، ولا يشتغل بغيره . وقد استخدم الرسول الكريم المسلمين الذين يستطيعون الكتابة والقراءة ، فى كتابة ما كان يمليه عليهم من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وكان عددهم قليلا فاضطر الرسول الى أن يستعين بغير المسلمين من اليهود والمسيحيين فى تعليم المسلمين الراغبين فى التعلم - القراءة والكتابة .

وفى غزوة بدر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلف الأسرى الذين يعرفون القراءة والكتابة من أهل مكة ممن لم يعتنقوا الدين الاسلامى أن يفتدوا أنفسهم بتعليم عدد من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .

وأول معلم للخط كان من وادى القرى (١) أقام بها وعاش فيها وعلم الراغبين من أهلها الخط . وكان المعلمون يعلمون الصبيان الخط بالنقل

(١) وادى القرى : موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام .

من الكتب الشعرية وغيرها لتنزيه كتاب الله عز وجل عن ابتذالهم له
بإتباته وكتابته ثم محوه .

وكان اللوح يستعمل فى الكتابة منذ زمن قديم فقد قالت أم الدرداء
إنها قد كتبت على اللوح عبارات فى الحكمة . ليحاكيها تلميذ كانت تعلمه
القراءة والكتابة .

وبعد معرفة القراءة والكتابة كان التلاميذ يقرءون القرآن الكريم ،
ويكتبون كل يوم قدرا منه فى ألواحهم ويحفظون مايكتبون . وبهذه
الوسيلة كانوا يدربون على القراءة ويتعلمونها، ويحفظون القرآن ويحسنون
خطهم . فقد كان الاطفال فى الكتاب لا يجدون غيره من الكتب ، فهو كتاب
للمطالعة وكتاب للمحفوظات . ومع القراءة والكتابة كانوا يحفظون بعض
أحاديث الرسول الكريم ويدرسون قصص الانبياء ويتعلمون قواعد اللغة
العربية ومبادئ الحساب .

وفى العهد الاسلامى وجد المتعلمون الذين يحسنون الخط تشجيعا
كثيرا وعينوا فى بعض المناصب والوظائف ودونوا أحاديث الرسول ،
ونقلوا الكتب التى يطلبها الخلفاء منهم .

وفى عصر الترجمة قام المثقفون الذين يجيدون بعض اللغات الاجنبية
بترجمة بعض الكتب الثمينة الى اللغة العربية .

وللجاحظ أثر كبير فى النهوض بتعلم القراءة والكتابة والحساب
والاقبال عليها وقد قال فى رسالة المعلمين « ولولا الكتاب « الكتابة »
لاختلت أخبار الماضين وانقطعت آثار الغائبين .. وقد رأينا عمود
صلاح الدين والدنيا انما يعتدل فى نصابه ويقوم على أساسه بالكتاب
والحساب » .

وقال أبو بكر بن العربى العالم الاندلسى : « وللقوم فى التعليم سيرة
بديعة ، وهى أن الصغير منهم اذا عقل بعثوه الى المكتب ، فيتعلم الخط
والحساب والعربية فاذا حذقها كلها أو حذق منها ماقدر له خرج الى المقرئ
فلقنه كتاب الله فحفظ منه كل يوم ربع حزب أو نصفه أو حزبا » .

وفى الوقت الذى كان المعلم يخصص حجرة من منزله، ويجعلها كتابا
لتعليم الاطفال الراغبين فى التعلم ، كان فى كتاب أبى القاسم البلخى
٣٠٠٠ تلميذ ومعنى هذا ان الكتاب فى الغالب كان حجرة واحدة أو أكثر
فى النادر وكان كبيرا فسيحا جدا يتسع لآلاف التلاميذ .

وقد ازداد عدد الكتاتيب وعدد المعلمين فى القرن الثانى الهجرى،
والقرون التى بعده حتى صار فى كل قرية كتاب أو أكثر .

قال الامام الشافعى - رضى الله عنه - : « كنت يتيما فى حجر أُمى
فدفعتنى فى الكتاب . . فلما ختمت القرآن دخلت المسجد لطلب العلم
والتوسع فى الثقافة الدينية » .

فالكتاب كان المكان الاول لتعليم الاطفال القرآن وكان للكتاب منزلة
كبيرة لان تحفيظ القرآن فيه كان أمرا هاما فى الاسلام ، وقد ورد فى
بعض المراجع العربية أن الحجاج بن يوسف المعروف كان معلما بأحد
الكتاتيب يأخذ الحبز من الاطفال أجرا له فى حين كان عبد الله بن الحرث
يعلم الاطفال ولا يقبل منهم أجرا . وقد أشار المقرئى الى عدد من الكتاتيب
التي كانت ملحقة بالمساجد فى مصر فى عصر المماليك لتعليم الفقراء
واليتامى من الاطفال القرآن الكريم ويؤخذ من هذا أن المسلمين كانوا
يشجعون نشر التعليم وأن الفقر أو اليتيم لم يكن عقبة فى سبيل التعلم
فكما كان الاغنياء والقادرون يتعلمون كان الفقراء يجدون الفرصة فى التعلم
وحفظ القرآن وطلب العلم .

وقد أسهم كثير من المسلمين فى انشاء الكتاتيب لتعليم الاطفال .
وتنافسوا فى بنائها للتقرب الى الله ، ونشر التعليم بين الاغنياء والفقراء على
السواء وكانت الكتاتيب تلحق بالمساجد حيناً وتبعد عنها أحيانا . وكان
المعلمون من المسلمين ينظرون الى الاطفال نظرة واحدة من غير تفرقة بين
الغنى والفقير منهم ، نظرة المساواة فى المعاملة والتعليم . فالتربية فى
الاسلام تربية ديمقراطية لاتعرف التفرقة ولا تعرف نظام الطبقات . ولم
يكن لدى المسلمين مدارس خاصة بالاغنياء والاشراف ومدارس عامة للفقراء
بل كانت المدارس لجميع الطبقات من أبناء المسلمين يتعلم فقيرهم مع غنيهم
فى مكتب واحد ومدرسة واحدة وفصل واحد من غير تمييز لهذا على ذاك .
فمبدأ المساواة والعدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص كان مراعى لدى
الجميع . فالتعليم فى الاسلام لم تستأثر به طبقة لأنها غنية ولم تحرمه
طبقة لأنها فقيرة .

وفى الاسلام لم يكتف بتعليم الاطفال بالمجان ، فقد كان الطعام
والكساء يقدمان لهم فى بعض الكتاتيب .

والتعليم فى الاسلام فرض على كل مسلم ومسلمة ، فرض على البنين والبنات فكما يعلم الابناء فى مدارس البنين تعلم الفتيات فى مدارس البنات منعا للمضار التى تنشأ عن اختلاط الجنسين .

ولم يمنع هذا النظام الاغنياء والامراء من تعليم اولادهم فى بيوتهم التعليم الذى يريدونه وتحفيظهم القرآن على أيدي معلمين خاصين ، وقد كان الحجاج معلما لاولاد سليمان بن نعيم وزير عبد الملك بن مروان .

وفى العصور الاسلامية الاولى كان بعض المعلمين يقومون بالتعليم بدون أجر ابتغاء مرضاة الله وبعضهم يقبلون أجرا زهيدا حتى يحصلوا على الضروريات فى الحياة .

حفظ القرآن الكريم فى الكتاب :

وكان القرآن الكريم يحفظ فى الكتاب . وكان حفظه كله فى العصر الاسلامى الاول نادرا لان الصحابة كانوا يعنون بفهم معانى الآيات القرآنية والعمل بما يستنبط منها أكثر من الحفظ . وقد قال ابن حنبل : كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ، ، أى عظم بيننا . قال جل شأنه : « كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته » ، فالغرض الرئيسى هو التدبر فى الآيات والتفكير فى المعنى المراد من كل منها وتنفيذ ما جاء به القرآن من أحكام .

وللتشجيع على حفظ القرآن كان من يحفظه يقدر حق قدره وتسند إليه بعض الاعمال العظيمة كالافتاء . وكان الحفاظ يسمون القراء لانهم كانوا يقرءون القرآن ويعرفون الناسخ منه والمنسوخ والمتشابه والمحكم ، ويفهمون معانيه وما تدل عليه كل آية منه . ولا عجب فقد كان العرب قبل الاسلام أميين لا يقرءون ولا يكتبون ، وبعد الاسلام أخذوا يتعلمون القراءة والكتابة ويدرسون الشريعة الاسلامية ويستنبطون الاحكام الدينية ويضعون الفقه الاسلامى ويطلقون على القراء اسم فقهاء وعلماء .

التعليم فى المساجد والجوامع :

فى العصر الاسلامى الاول كان الصغار يجلسون مع الكبار فى حلقات المساجد للتعلم . ومن تعلموا فى المسجد على بن أبى طالب وعبد الله ابن عباس .

وان للتربية الاسلامية صلة كبيرة بالمسجد فقد اتخذ المسلمون بيتا لعبادة الله والتقرب اليه ومعهدا للثقافة الاسلامية والتربية الدينية تدرس فيه قواعد الاسلام واحكام الدين وجعل محكمة للقضاء العادل وميدانا لاجتماع الجيش الباسل وبيتا لاستقبال السفراء ، ومركزا للحياة الروحية والاجتماعية والسياسية وقد أطلق على المسجد «بيت الله» فلا يحتاج أحد الى الاستئذان حينما يدخله للعبادة أو الدراسة أو غيرها .

وأول مسجد بنى في الاسلام هو مسجد قباء (١) وكانت تعقد فيه حلقات دينية . وحينما دخل الرسول عليه السلام المدينة المنورة بنى مسجده بالمربد ليشجع المهاجرين والانصار على النشاط والسرعة في العمل . وكان من عادة الرسول أن يجلس في مسجده بالمدينة ليعلم أصحابه دينهم ودنياهم . وبانتشار الاسلام انتشرت المساجد في البلاد الاسلامية .

ولما كان الاطفال لا يتحفظون من النجاسة فقد وصى كهرون ألا يكون التعليم في المسجد . وقيل انه لا يجوز تعليم الاطفال في المسجد لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لانهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات ، بل يتخذون للتعليم أمكنة في الدروب وأطراف الاسواق . وحينما منع المعلمون من التعليم في المساجد اتخذوا لهم زوايا متصلة بها أو حجرا ملتصقة بها لتعليم الاطفال . وان من يقرأ رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة يجد فيهما كثيرا عن الحلقات التي كان الاطفال يجتمعون فيها في المسجد ويلتفون حول معلم من المعلمين يعلمهم القرآن الكريم مع الاحتراس من لعب الاطفال في المسجد .

وللمحافظة على المساجد والجوامع جعلت لتعليم الكبار من الطلبة التعليم الديني والعربي الثانوي والعالي بدون أجر مع منحهم بعض المنح المالية والعطايا لمساعدتهم على الاستمرار في طلب العلم .

قال العبدى (٢) : «أفضل مواضع التدريس هو المسجد لان الجلوس للتدريس انما فائدته ان تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافرا لانه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم» ، وهو يقصد بذلك تعليم الكبار من الطلاب تفسير القرآن ودراسة الحديث والفقه والشريعة

(١) موضع بالحجاز .

(٢) في كتابه المدخل ج ١ ص ٨٥ .

الاسلامية مع مراعاة مبادئ التربية فى الاسلام ، وهى المساواة والديمقراطية وتكافؤ الفرص ، والحرية فى تلقى العلوم واختيار مواد الدراسة والاساتذة والتحرر من المؤثرات المالية .

وحينما انتشر الاسلام كثرت المساجد ، وبنى المسلمون مسجدا أو أكثر فى كل مكان حلوا به ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر قواده بإنشاء المساجد فى جميع البلاد والمدن التى يفتحونها . وفى القرن الثالث الهجرى امتلأت بغداد وكانت الحال فى مصر كالحال فى بغداد .

١ - وأول جامع بنى فى القاهرة هو جامع عمرو بن العاص . وقد بناه سنة ٢١ هـ بأمر من عمر بن الخطاب بعد فتح مصر . ثم جدد ذاك الجامع وزيد فى بنائه بعد ذلك عدة مرات وبدأت الدراسة الدينية والحلقة فيه سنة ٣٦ هـ ثم اتسع التعليم فيه بالتدريج .

وكان مسجد عمرو مركزا للثقافة ، ومحكمة للقضاء . وكان به أكثر من أربعين حلقة دراسية للتعليم يؤمها الطلبة للدراسة والبحث .

وقد بنى المقرئ فى خطه بعض التفاصيل عن ثمانى حلقات كانت تدرس فيها العلوم المختلفة بجامع عمرو بن العاص نذكر قليلا عن حلقتين أو زاويتين منها وهما :

(أ) حلقة الامام الشافعى وقد نسبت اليه لان الشافعى قام بالتدريس فيها سنة ١٨٢ هـ وكانت تسمى بالزاوية ولها ارض موقوفة عليها بناحية سندبيس . وكان اعيان الفقهاء وجلة العلماء يتولون التدريس فيها . وكانت مملوءة بطلاب العلم والدين .

(ب) الزاوية الصاحبية وقد أعدها صاحب محمد بن فخر الدين وعين لها اثنين من المدرسين ، أحدهما شافعى لتدريس الفقه على مذهب الامام الشافعى والآخر مالكى لتدريس الفقه على مذهب الامام مالك ، ووقف عليها وقفا خاصا بالزاوية .

وحينما وفد محمد بن جرير الطبرى على مصر قام بالتدريس فى جامع عمرو بن العاص وظهر فضله فى تفسير القرآن الكريم وتدريس الحديث والفقه وعلمه بالفقه واللغة والنحو الشعر . وكان يملئ على طلبته ما أرادوا من المباحث فى أية مادة من تلك المواد .

٢ - ومن الجوامع التى اشتهرت بالتدريس فيها جامع أحمد بن طولون وقد كمل بناؤه سنة ٢٥٦ هـ ، وقام الفقهاء والعلماء بالتعليم فيه . ويروى

«السيوطي(١) ان دروسا مختلفة قد نظمت ورتبت فيه منها التفسير والحديث والفقه على المذاهب الاربعة ، والقراءات والميقات والطب .

١.الجامع الازهر :

وهو مسجد عالمي أنشأه القائد جوهر الصقلي بالقاهرة في عهد المعز لدين الله الفاطمي . وكان الشروع في بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ وسنة ٩٧٠ م وكمل بناؤه سنة ٣٦١ هـ وسنة ٩٧٢ م وفي سنة ٧٦١ هـ في عصر الملك الناصر قلاوون أنشئ بالازهر مكتب لتحفيظ اليتامى من المسلمين القرآن الكريم ورتب للفقراء من الطلبة طعام يطبخ لهم كل يوم ، ونظمت فيه دروس للفقهاء من الحنفية ، ووقفت عليه أوقاف كثيرة . وفي سنة ٨١٨ هـ بلغ عدد طلبته ٧٥٠ طالبا من مصريين ومغاربة وزيايلة وعجم ، وكان لكل طائفة منهم رواق خاص يعرف بهم .

وكان الجامع الازهر عامرا بتلاوة القرآن الكريم وتلقيه ودراسته والاشتغال بالتفسير والحديث وعلوم الفقه والنحو .

ولا يزال هذا الجامع ملحوظا بالرعاية مقصودا للدراسة والاستفادة والبركة والعبادة . فحتى العقد الثاني من القرن العشرين كانت عبادة الله لا تنقطع فيه لحظة واحدة ليلا أو نهارا . ففي كل لحظة تقصد الازهر كنت تجد من يصلي ويعبد الله أو يدرس عند القبلة القديمة أو الجديدة أو غيرهما . . .

وقد استمر الجامع الازهر يزداد شهرة في الآفاق ، يقصده الطلبة من جميع البلاد الاسلامية ، لتعلم العلوم الشرعية والعقلية والنقلية على أيدي جهابذة العلماء المتفرغين للدراسة والتعليم ابتغاء مرضاة الله . . . وازداد الاقبال عليه من المصريين وأهل الحجاز واليمن والشام والسودان والمغرب وبغداد وتركيا وكردستان والسند والهند والعجم والافغان وجاوه . وتقاطر اليه الطلبة من جميع المذاهب الآسلامية للتبحر في العلوم الفقهية وغيرها ، وظهر فيه طلبة بارعون وعلماء عاملون . فهو الجامع الذي جمع الطلبة من جميع انحاء العالم الاسلامي وهو الازهر والجامعة الاسلامية الكبرى . به زال الجهل في عصور انتشرت فيها الجهالة ، وصارت حياة

(١) في كتابه حسن الحاضرة ج ٢ ص ١٢٨ .

العلم خالدة وتادبت نفوس طاهرة وكملت قرائح صافية وحفظ العلم والعلماء وصفت الافكار وظهرت الاسرار وكسب الشرف وعظم القدر فكثيرا ما بزغت فيه شمس وأقمار ، وغردت فيه بلابل المتعلمين والمعلمين .
فى العشى والابكار والاسحار .

وفى سنة ١٢٩٣ هـ و ١٨٧٥ م أحصى عدد العلماء والطلبة فى الازهر .
فكان عدد العلماء ٣٢٥ وعدد الطلبة ١٠٧٨٠ تقريبا .

وفىما مضى كان لكل مذهب من المذاهب الاربعة اعمدة معينة لايجلس للتدريس بجانبها غيرهم . وكان الطلبة اذا جلسوا فى حلقة حول الشيخ قال فى بدء الدرس : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ثم أخذ يشرح الدرس . ويوضح ماعينه لهم فى الدرس السابق وقرأ لهم التعيين فى الكتاب وقابلوا عليه الدرس بكل دقة وسألوه عما صعب عليهم من الاسئلة وشرح لهم مايدا امامهم من الصعوبة . وبعد الانتهاء من الدرس يعين لهم درسا لاعداده لليوم التالى ويقبل الطلبة يد شيخهم ويطلبون منه الدعاء لهم ولو كانوا كبارا .

فالطلبة كانوا يحترمون أساتذتهم ويجلوونهم كل الاجلال والاساتذة كانوا من العلماء المخلصين الأجلاء . الذين يعاملون الطلبة معاملة الابناء .

وكان الطالب حرا فى اختيار أساتذته ، يختار من يشاء ، ويجلس فى الحلقة التى يريد ، ويعتمد على نفسه فى اعداد دروسه ، ويطلب العلم لذات العلم وليس لديه امتحان شهرى أو سنوى ولم يكن هناك من يحاسبه على الحضور أو الغياب وتختلف سعة الحلقة باختلاف العلماء ومهارتهم وكان الطلبة يحفظون كثيرا من المتون فى المواد المختلفة لاعتقادهم أن من حفظ المتون حاز الفنون .

وقبل أن يحضر الطلبة حلقة الدرس كانوا يعدونه اعدادا تاما بحيث يقرءون المتن وشرحه وما كتب عليه فى الشرح والحاشية مرة أو أكثر جماعات أو فرادى . واذا وجدوا صعوبة ولم يستطيعوا حلها سألوا الشيخ عنها وقت الدرس . وكان الشيخ يعد درسه فى عدة كتب ويطلع على كثير من المراجع حتى يستحضر أطراف المسائل ويستعد للإجابة عن الاسئلة التى يسألها الطلبة أو الاعتراضات التى يعترضون بها .

وكان من عادة الأذكياء والنابهين من الطلبة أن يطالعوا للباقيين درس الشيخ مطالعة بحث وفهم وتدقيق حتى يأتوا الى الشيخ وهم

مستعدون كل الاستعداد لما يلقيه عليهم من الآراء والأفكار . وتعد هذه الطريقة الأزهرية القديمة من أحدث الطرق في التدريس في القرن العشرين وتتفق في كثير من المبادئ مع طريقة دلتون في التربية الحديثة .

وكان لا يتصدر للتدريس إلا العلماء المعروفون بسعة الاطلاع وغزارة المادة والقدرة على حل المشكلات العلمية والاجابة عن كل اعتراض من الطلبة الذين يجتمعون حولهم . وفي النهاية عمل قانون للامتحان بحيث يمتحن كل من يريد التدريس من المستجدين في أحد عشر علما وهي : التفسير والحديث والاصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق . ومن اراد الدخول في الامتحان بعد الانتهاء من حضور (السعد) و (جمع الجوامع) قدم التماسا لشيخ الجامع الأزهر بانه يريد الدخول في حومة العلماء المدرسين وأنه حضر كذا وكذا من العلوم فيسأل الشيخ عن أحواله ممن يعرف حقيقة أمره من أساتذته ثم يعين له من كل علم درسا ويحدد له ميعادا يطالع فيه ، ويجعل لكل علم يوما وبعد نهاية الأحد عشر يوما يعقد الامتحان ويجعل مريد الامتحان بمنزلة الشيخ ، والعلماء بمنزلة الطلبة له فيبدأ بالقراءة وهم يسألونه وهو يجيبهم وقد يستمر الامتحان اثنتي عشرة ساعة لا يقوم فيها الطالب الا لنحو الصلاة او تناول الطعام فاذا أجاب اجابة جيدة في كل علم كتبوه من الدرجة الاولى واذا لم يجب جيدا في جميع العلوم كتب من الدرجة الثانية واذا اجاب اجابة متوسطة كتب من الدرجة الثالثة . واذا لم يجب ذلك الممتحن أمر بالقيام من المجلس ولم يؤذن له بالتدريس .

وقد حملت هذه الطريقة في الامتحان الطلبة على الجد والاجتهاد في التحصيل والقراءة والاطلاع وسهر الليل حتى منتصفه للتبحر في العلم . وكانت عنايتهم كبيرة بفهم العبارات وحل التركيبات وكثرة المناقشات بالاعتراضات والأسئلة والأجوبة .

وكان من العادة أن يجعل الصباح المبكر للتفسير أو الحديث والضحا للفقه وتجعل الدراسة في الظهر للنحو أو المعاني أو البيان أو البديع أو الأصول وبعد العصر تدرس العلوم الحديثة وبين المغرب والعشاء تدرس مواد اختيارية مختلفة ويتمرن كبار الطلاب على التدريس للمبتدئين منهم .

وللأزهر عدة قوانين منها قانون سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م وفيه عد الجامع الأزهر المعهد الديني للعالم الاسلامي الاكبر والغرض منه :

- ١ - القيام على حفظ الشريعة الفراء وعلى تعليم اللغة العربية .
- ٢ - تخريج علماء يوكل اليهم تعليم هذه العلوم وتولى الوظائف الشرعية في الدولة .

ويطلق اسم الجامع الازهر على كليات التعليم العالى وهى : كلية أصول الدين وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية . ويتبع كل كلية قسم التخصص فى المواد التى تعنى بها هذه الكلية . ويطلق اسم « المعاهد الدينية » على المعاهد الابتدائية والثانوية التى تعد الطلبة للحاق بالجامعة الأزهرية .

ولم يكن فى الازهر قديما شروط خاصة بالسن أو المؤهلات . وهو حتى وقتنا هذا يعد جامعة من أقدم جامعات العالم ومن أولى الجامعات الاسلامية ويقول الخطيب البغدادي : ان درسا فى الطب كان يلقي فى الازهر عند منتصف النهار من كل يوم (١) .

جامع المنصور ببغداد :

وقد شيده أبو جعفر المنصور وجدده هارون الرشيد وزاد فى مبانيه وأصلحه .

وكان ذلك المسجد قبلة أنظار الاساتذة والطلاب وكانت له منزلة سامية فى نفوس العلماء والشعراء . وقد قيل : ان الخطيب البغدادي حينما حج شرب من ماء زمزم وسأل الله ان يحقق له ثلاثة أمور منها ان يعطى الفرصة فى ان يملئ الحديث الشريف بجامع المنصور . وكان الكسائى يجلس فى ذلك المسجد ليقرأ للطلبة علوم اللغة وكان أبو العتاهية يملئ شعره فيه .

الجامع الأموى بدمشق :

كان الجامع الأموى بدمشق يعد من عجائب الدنيا ، فقد أنفق الوليد ابن عبد الملك على بنائه خراج المملكة سبع سنوات ، وظل العمل فى بنائه ثمانية أعوام . قيل : انه لو مكث الانسان فيه مائة سنة لراى فى كل يوم أعجوبة لم يرها من قبل وقد وصفه ابن جبير فى رحلته فبين أن فيه

(١) عيون الانباء لابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٢٠٧ .

حلقات للتدريس للطلبة ، وللمالكية زاوية للتدريس يجتمع فيها طلبة
المغاربة ومرافقه للغرباء كثيرة وواسعة . وبه مدرسة للشافعية . وفيه
عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والبعد عن ازدحام الناس .

وكان للخطيب البغدادي بهذا المسجد حلقة كبيرة سنة ٤٥٦ هـ
وكان الناس يجتمعون اليه في صباح كل يوم فيقرأ لهم دروسا في
الحديث .

ولم يكن التعليم في المساجد والجوامع مقصورا على العلوم الدينية
بل شمل فروعاً كثيرة من العلوم كالنحو والأدب والشعر والفلك
والحساب . وكانت أبوابها مفتوحة للجميع من الراغبين في الدين والعلم
والدراسة في تناول جميع الطبقات من الطلاب لا تقتضي مالا ولا جاهاً
وكان لبعض الأساتذة رواتب معينة من الأوقاف ، وبعضهم يكسب
معيشته بعرق جبينه ويقوم بالتدريس بالمجان ابتغاء الثواب من الله .

فالمسجد أو الجامع لم يكن خاصاً بالعبادة ولكنه كان أيضاً مكاناً
للتربية والتعليم والنظر في شئون الدين والدنيا .

التعليم في دور الحكمة ودور العلم :

في عصر الدولة العباسية كان المسلمون قد اختلطوا بالشعوب
المختلفة وتأثروا بحضاراتها فانتعشت الأفكار وتسايق علماء المسلمين في
معرفة علوم الأقدمين وترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية وخاصة
فلسفة الإغريق وعلومهم وتنافسوا في جمع المؤلفات العالمية النفيسة
القديمة في دور الحكمة ودور العلم لنقلها ودراستها والانتفاع بما فيها
من ذخائر . وقد ترجم عدد كبير من الكتب النادرة ونبغ من علماء العرب
محمد بن موسى الخوارزمي العالم الشهير المعروف بالنبوغ في علم الفلك
وأبو جعفر محمد الذي كان من الفائقين في علوم الهندسة والحساب
والمنطق ، فدور الحكمة ودور العلم هي جامعات بها دور عامة للكتب ،
فيها كثير من العلماء في المواد المختلفة لقراءة تلك العلوم وإفادة من يحضر
إليها من طلاب العلم والمعرفة وإرشادهم إلى المراجع التي يريدون الرجوع
إليها في دراساتهم وبحوثهم للتعمق في الدرس بطريقة تعودهم البحث
الشخصي والاستقلال الفكر ،

وقد حاكى الفاطميون في مصر العباسيين في بغداد في انشاء دور
الحكمة ودور العلم بالقاهرة لدراسة فلسفة الاغريق وعلومهم مع العلوم
الاسلامية . وقد قال المقرئى (١) ان دار الحكمة فتحت بالقاهرة سنة
٣٩٥ هـ وفرشت وزينت وعلقت الستائر على أبوابها وجلس فيها الفقهاء
والعلماء والأطباء لتدريس علوم الفقه والنحو واللغة والطب وأقبل عليها
الطلبة للدراسة والقراءة والاطلاع والناس للاستماع والنسخ لنسخ
ما يريدون من الكتب النفيسة التى زودت بها وحملت اليها من خزائن
القصور . وعين لها خدام لخدمة العلماء والطلاب .

وقد زودها الحاكم بأمر الله بكتب نفيسة فى العلوم والآداب
ومخطوطات نادرة وأهداها الى دار الحكمة وأباح لمن يرغبون فى القراءة
الانتفاع بها ودراستها والنظر اليها . وأقبل الناس عليها لقراءة الكتب
أو نسخها أو تعلمها . وزودها الحاكم أيضا بما يحتاج اليه الناس من
حبر وأقلام ومحابر وأوراق للكتابة .

واستمرت دار العلم فى القاهرة الى سنة ٥١٦ هـ حينما أمر الأفضل
بإغلاقها .

وانك تجد فى تاريخ دار الحكمة ببغداد بعض الغموض بعد عصر
ال خليفة المأمون ، والخلاصة أن دور الحكمة ودور العلم كانت بمثابة
جامعات أو معاهد عالية للتخصص ، بها دور كتب للدراسة والاطلاع
والنسخ ولم تنتشر فى جميع البلاد الاسلامية بل كانت فى مصر والعراق
وبلاد فارس . ولم تكن صبغتها كالمعاهد الاسلامية الأخرى فانها عيّنت
بدراسة العلوم الدينية كما عيّنت كل العناية بدراسة العلوم الدنيوية
والفلسفية . وفى الوقت الذى كان يؤمها الطلبة للتخصص والدراسات
العالية كان يقصدها طلبة آخرون للقراءة والثقافة المختلفة ونسخ
ما يريدون من الكتب النفيسة .

(١) الخطط للمقرئى ج ٢ طبع مصر ١٣٥٦ ص ٣٣٤ - ٣٣٦ .